مجلة هيرودوت للعلوم الإنسانية والاجتماعية | المجلد6 / العـــدد: 3.(2022)، ص6-27.

مدينة وارجلان

التنظيم الاجتماعي والدور التجاري خلال العصر الإسلامي

Warglan City

Organization, social organization and the commercial role during the Islamic era

عاشور صيد*

جامعة 08 ماي 1945 قالمة– (الجزائر)

sid.achour2017@gmail.com

تاريخ الاستلام: 28./.022022تاريخ القبول: 03/...10./.2022

ملخص:

سنتناول في هذه الدراسة مدينة وارجلان(ورقلة حاليا) ، والتي تعتبر إحدى الحواضر الكبرى بصحراء المغرب الأوسط، وهي مدينة متقادمة ، تضاربت الآراء حول زمن تأسيسها و أصل تسميتها، لكن ما هو متعارف عليه أن تاريخ هذه المدينة العريقة يعود إلى ما قبل الفتوحات الإسلامية، حيث يرجع الفضل في تأسيسها إلى القبيلة الزناتية الامازيغية بنو **واركلا** ، التي استقرت بالمنطقة وشيدت قصورا تحيط بها واحات النخيل، وقد تجمعت تلك القصور– فيما بعد– لتُكون مدينة عرفت أوج تطورها خلال العصر الإسلامي.

وقد ساهم موقعها الإستراتيجي الهام، في أن تكون ممرّا لركب الحجيج القادم من المغرب الأقصى و محطة للقوافل التجارية، ، مما أهلها لتلعب أدوارا أساسية ، حيث مثلت نقطة الوصل بين جنوب المغرب الأوسط وشماله وبلاد السودان الغربي، الشيء الذي أنعش الوضع الاقتصادي للمدينة، والذي أدى بدوره إلى الاستقرار الاجتماعي واتساع عمرانها، مما اكسبها مكانة حضارية هامة في تاريخ المغرب الأوسط.

كلمات مفتاحية: وارجلان، التنظيم الاجتماعي، الدوري التجاري ، بلاد السودان الغربي.

Abstruct:

We will deal in this study with the city of Warglan (currently Ouargla), which is considered one of the major metropolises in the the Middle Maghreb desert, and it is an outdated city. Where the credit for its founding is attributed to the Berber Zenat tribe, Banu **Warkala**, who settled in the region and built palaces surrounded by palm oases.

Its important strategic location contributed to being a corridor for pilgrims coming from the Far Maghreb and a station for commercial caravans, which qualified it to play essential roles, as it represented the linking point between southern and northern Maghreb and western Sudan, which revived the economic situation of the city, which led In turn, it led to social stability and the expansion of its urbanization, which earned it an important cultural position in the history of the Middle Maghreb.

Keywords: Wargelan, social organization, commercial league, western Sudan

تعد مدينة وارجلان من المناطق الصحراوية القليلة التي اجتمعت فيها الشروط الطبيعية اللازمة لقيام المجتمع البشري، علما أنّ الواحة تقع في بيئة صحراوية قاحلة تعتبر من أكثر صحاري العالم جفافا، لكن بالرغم من ذلك فقد ظلت محتفظة بقوتها وازدهارها التجاري، وتنظيمها الاجتماعي، مما جعلها من اكبر الحواضر بالمغرب الأوسط ، حيث مثلت نقطة الوصل بين جنوب المغرب الأوسط وشماله وبلاد السودان، و ملتقى القوافل التجارية على الخصوص ،التي أنعشت الوضع الاقتصادي للمدينة، والذي أدى بدوره إلى الاستقرار الاجتماعي و اتساع المدينة واستبحار عمرانها، ،مما اكسبها تراثا تاريخيا هاما، أشار إليه كل الرحالة والمؤرخين ، الذين درسوا المنطقة، خلال العصر الإسلامي .

وتمثل إشكالية الدراسة فيما يلي: ما هو زمن تأسيس مدينة وارجلان،؟ ما هو أصل تسميتها، ؟ما هي الأدوار التي لعبتها المدينة عبر تاريخها الطويل؟،ما هي أهم مبادلاتها التجارية؟ دور الانتعاش الاقتصادي في الاستقرار والتنظيم الاجتماعي للمدينة.

أما المنهجية المتبعة في الدراسة فتمثلت في المنهج التحليلي في تحليل أراء المؤرخين ،من حيث زمن تأسيس المدينة واصل تسميتها ومقارنة تلك الآراء،ببعضها البعض،للوصول إلى المدلول الحقيقي للتسمية.

المنهج التاريخي والذي اعتمدنا عليه في التعرف على المراحل تطور وارجلان خلال العصر الإسلامي، والتنظيم الاجتماعي وعناصر السكان.وقد جاءت دراستنا لوصول إلى عدة أهداف التعرف على أصل تسمية مدينة وارجلان، بالتطرق إلى التفاسير التي قدمها المؤرخون في المصادر التاريخية والجغرافية باللغة العربية، وبعض الدراسات الفرنسية، التعرف زمن تأسيس المدينة،بذكر أهم الأخبار لدى المؤرخين و دور الجانب التجاري للمدينة مع بلاد السودان وبلاد المغرب، في تطورها وازدهارها.

أولا–الإطار الجغرافي لمدينة وارجلان:

أ– الموقع الفلكي:

يعتبر ابن سعيد المغربي المصدر الوحيد الذي حدّد الموقع الفلكي لمدينة وارجلان في كتابه" كتاب الجغرافيا"، حيث يقول"...ويقع فيه من البلاد المذكورة بلاد ومدينتها تسمى واركلان حيث الطول عشرون درجة والعرض أربعة وعشرون ونصف عشر دقائق وهي بلاد نخل وعبيد ومنها تدخل العبيد إلى المغرب الأوسط وإفريقية، و السفر منها في الصحراء إلى بلاد السودان كثير.[1]

أما الدراسات الحديثة فإنها تحدد الموقع الفلكي للمدينة بأنها تقع بين خطي عرض 28° و32° شمال خط الاستواء وبين خطي طول 4° و8° شرق خط غرينتش مما جعلها عرضة للعرق الشرقي الكبير[2]، وبالتالي فهي تقع في حوض ورقلة في الجنوب الشرقي للجزائر وهو جزء من المنخفض الصحراوي الكبير، يبلغ طوله 30 كلم،و عرضه يتراوح بين 12و18 كلم، وارتفاعه ما بين 103 و50 م فوق مستوى

---

(1) ابن سعيد المغربي،(1970م) كتاب الجغرافيا تحقيق إسماعيل العربي، ط1 منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت. ص 126 .

(2) ناصر الدين سعيدوني :(1984) دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.ص:223.

سطح البحر، يمتد بين هضبتين، الأولى تحده من الغرب، وارتفاعها 230م، والثانية من الشرق بارتفاع يناهز 160م، وهي متصلة برمال العرق الشرقي الكبير [3].

ب–الموقع الجغرافي:

حدد ياقوت الحموي في معجمه موقع المدينة بقوله:" وارجلان... كورة بين افريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر..."[4] ،وبالرغم من انّه مع عدم الدقة في التحديد، لكنه يمكن أن يفهم منه أن مقصده قد يعني احتمال وقوع وارجلان على ذات الامتداد المقابل لما بين إفريقية وبلاد الجريد ،أما الإدريسي فقد حدد موقع المدينة بالقول <<ومن مدينة المسيلة إلى وارقلان اثنا عشرة مرحلة كبار.[5]

أما الدمشقي فقد حدد موقعها ،" وارقلان بينها وبين تادمكة خمسون مرحلة وهي سبع حصون."ويضيف بأن بينها وبين غدامس أربعون مرحلة [6]، أما الجغرافي الحميري صاحب كتاب الروض المعطار فيحدد موقع وارجلان بالقول" واركلان في طرف الصحراء مما يلي افريقية ...وبين واركلان والجريد أربعة وعشرون يوما ومن الجريد إلى القيروان سبعة أيام.. بينها وبين غدامس نحو عشرون يوما في صحراء قليلة الماء "[7].

كما ذكر العلامة ابن خلدون موقع المدينة " واركلي قبلة بجاية بلد واحد مستبحر العمران كثير النخل وفي سمته إلى جهة التلول بلاد ريغ تناهز الثلاثمائة منتظمة على ضفافي واد ينحدر من المغرب إلى المشرق يناهز المائة من البلاد فأكثر قاعدتها بسكرة من كبار الأمصار بالمغرب "[8].

ج–الموضع:

ميدانيا فإن قصر وارجلان يقع فوق هضبة، ارتفاعها عن مستوى حدائق النخيل ما بين أربعة إلى خمسة أمتار [9]، و بحوالي 130م على مستوى الحوض [10] فهو يقع فوق أرضية أفقية على العموم وسط بساتين من النخيل والمباني به، بصفة عامّة لا تتجاوز الطابق

---

(3) عبد الله بن جيلاني السائح،(2010م)، **صفحات من تاريخ ورقلة**، منذ اقد م العصور حتى الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر ص 22.

(4) ياقوت الحموي ،(1397هـ/1977م) **معجم البلدان**، مج 5، دار صادر ،بيروت – ، ص:427 .

(5)الشريف الإدريسي، (1989م) **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، مج1، ص:296.

(6)الدمشقي شمس الدين ،(1408هـ-1988م)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ط1 دار التراث العربي، بيروت، لبنان.ص:316.

(7) الحميري بن عبد المنعم،(1984م) **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ، ط2 لبنان ، ص 600

(8) **عبد الرحمن بن خلدون، (2000م)كتاب العبر**، تح سهيل زكار، ، د ط، دار الفكر للنشر، بيروت، لبنان ، مج7، ص:106.

(9)Passager (P) : (1957)Ouargla(Sahara constantinois) Alger, p :115 .

(10) إسماعيل العربي،(1983) **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر د ط ، ص ، 158.

العلوي، إذا فقصر وارجلان يقع وسط سبخة كبيرة ممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي لتنتهي شرقا عند جبل بوكران وغربا عند جبل ملالة [11] وقد وصفها العياشي فقال << مدينة بها سبعة أبواب وهي في وسط خط من النخيل مساحتها نحو نصف فرسخ في مثله ، محيط بها خندق مملوء ماء من جهاتها، لا يصل أحد إلى سورها إلاّ ناحية الأبواب.. " [12]ويحد القصر شرقا وشمالا وجنوبا واحات النخيل أما جنوبا فتحده المدينة الجديدة وتقدر مساحته بستة ألاف ذراع، وتضاربت الآراء حول تاريخ نشأته. فطائفة من المؤرخين ترجعه إلى التاريخ القديم وبالضبط إلى العهد النوميدي في الفترة مابين القرنين العاشر والسابع قبل الميلاد، وطائفة أخرى ترجعه إلى القرون الوسطى الإسلامية، وقد تزامن تاريخ نشأته مع قصور تمنطيط بتوات بأدرار، ومع قصور بني عباس ببشار ومع قصور غدامس بالتراب الليبي [13].

ثانيا: الإطار التاريخي للمدينة:

1-النشأة و التسمية :

أ- تاريخ نشأة مدينة وارجلان:

لقد اختلفت الآراء حول زمن تأسيس أو نشأة مدينة وارجلان، لكن ما هو معلوم هو أن منخفض وادي مئة قد عرف وجود الإنسان منذ القدم أي إلى العصر الحجري القديم والعصر الحجري الحديث ، والدليل هو وجود شواهد

---

(11) تلمساني بن يوسف،(فيفري 1999) **دراسة وصفية إجتماعية، لواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي**، ملتقى حول التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية ، مقاومة الشريف بوشوشة، في إطار الذكرى السابعة والثلاثون، للإنتفاضة التاريخية بورقلة، ، مديرية الثقافة لولاية ورقلة، ص 107.

(12) العياشي، أبو سالم عبد الله (2006م)(**الرحلة العياشية 1661-1663م**) مج1، حققها وقدم لها، سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، ط 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، ص 115 .

(13) LIBYCA : (1972) **Peuplement de la Region de Ouargla** , tome xx ,centre de et de anthropologique et recherche: aperçu sur l'évolution du paysage quaternaire ethnographique , Roosevelt , , p :242

أثرية تعود إلى هذا العصر[14] ذات تأثير قفصي[15]وقد وجدت هذه القطع في محور يبلغ زهاء 100كلم مما يحيط بالواحة[16]لكن بالرغم من ذلك فقد افتقرت المنطقة إلى وجود بقايا إنسانية توافق هذه الصناعات[17].وقد تم العثور على بعض البقايا خاصة في موقع " قارة كريمة"[18].

كما أرجع بعض الباحثين الأوربيين أن نشأة قصر وارجلان أو ورقلة يعود إلى شعوب " القرامنت" الذين وصفهم كل من هيرودوت وسترابون [19]، أما ابن خلدون لم يحدد لنشأتها أي تاريخ ويرى <<..بني وارکلا بطن من بطون زناتة كانت مواطنهم قبلة الزّاب واختطوا وارجلان على ثماني مراحل من بسكرة ... بنوا قصورا متقاربة ثم استبحر عمرانها فصارت مصرا واحدا...>> [20] أما الحسن الوزان الفاسي فيحدد تأسيس المدينة بقوله:<< وركلة مدينة أزلية بناها النوميديون في صحراء نوميديا>> [21].

---

[14] Madleine (R.B) : (1975) **le Pays de Ouargla** – Sahara Algerien- Département de Géographie de l'Université de Paris Sorbonne-, Paris p 9

[15] الحضارة القفصية: أطلق مصطلح القفصية سنة 1909م من ج.دي مورغان على المواقع الواقعة بضواحي مدينة قفصة التونسية وتنفرد جميعها بصفة مشتركة فيما بينها، وهي ركام القواقع الحلزونية، الممزوجة بالرماد والتراب، وادوات صناعية، وعظام الحيوانات والإنسان وتعتبر الحضارة القفصية المكونة للعصر القديم المتاخر بشمال إفريقيا.أنظر:

l.Balout,**préhistoir de l'Afrique du nord**,Essai de chronologie,Art et métiers. pp 387-391

[16] ج , أوماسيب، س، حاشي: **موقع عرق التوارق الماشولي بنواحي ورقلة** مجلة ليبيكا الجزء الثاني والثلاثون والرابع والثلاثون تعريب سلوى عاشور وآخرون المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ الجزائر1986.ص:127

[17]Madleine (R.B) :Op .Cit p:9

[18] Berthelot(A) :(1927) l'Afrique Saharienne ,et Soudanaise – paris. p :241

[19] Lethielleux Jean:(1984) Ouargla cité saharienne paris Paul geuthiner p p :10

[20] ابن خلدون ، المصدر السابق، مج7، ص:107.

[21] الحسن الوزن المصدر السابق، ص 136

وقد حدد ليتيو" lethielleux" تأسيس مدينة وارجلان الى الشيخ **حادور**[22]جاء مع جماعة من الزنجبار وبنو القصر وسمّيت نسبة إلى سمرتهم وتشييدها تم سنة108هـ- 726م [23](25) أما دفيريي "duveyrier" لم يحدد تاريخ تأسيس وارجلان فيرى أنها من أقدم مدن الصحراء [24].

وعلى هذا الأساس نعتبر أن مدينة وارجلان مدينة ضاربة في القدم ، وهي واحدة من المدن الصحراوية التي لها إرثها التاريخي الموغل في الزمن، حيث كانت عبارة عن قصور متقاربة ثم تجمعت لتكون مصرا واحدا ، ويعود ذلك ربما إلى زمن النوميديين.

أما الرواية التي ذكرها "جون ليتيو" عن الشيخ **حادور** فهي حديثة نوعا ما،كما أننا لم نجد قرينا لها في جميع المصادر، وبالتالي فإن وارجلان مدينة قديمة تم تأسيسها قبل وجود الاباضية، بهذه المنطقة والدليل هو وجود شواهد تاريخية وأثرية تعود الى زمن أبعد من ذلك بكثير.

ب- تسمية المدينة كما وردت في المصادر:إن المصادر التاريخية للقرون الوسطى الإسلامية، التي أرخت للفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب(القرن الأول للهجرة،القرن السابع للميلاد)،لم تذكر وارجلان في مراحل الفتوحات،رغم أن الفاتح عقبة بن نافع قد اختار طريق الصحراء، لكنها لم تصلنا عنها أية معلومة على انّه مرّ عليها، أو على القرى المحيطة من حولها، وبالتالي غاب اسمها في المصادر التي تضمنت أخبار و أحداث النصف الثاني من القرن الأول للهجرة.[25] .

ولم يظهر اسم المدينة بشكل واضح، إلا منتصف القرن الثاني للهجرة،أي زمن تأسيس الدولة الرستمية، وتوسعاتها التي شملت المنطقة الجنوبية للمغرب الأوسط بما فيها وارجلان،التي أصبحت محطة تجارية هامة على طريق التبادل التجاري مع بلاد السودان الغربي، ثم ورد اسمها بقوة في المصادر التي أرخت لسقوط الدولة الرستمية، وفرار الناجين إلى وارجلان، التي ذكرها أبو زكريا الوارجلاني بهذه التسمية أثناء تأريخه لتلك الأحداث[26]، ثم توالت المصادر التي ذكرتها بتسميات متشابهة إلى حد كبير، لكن لم تعط تفسيرا أو ترجمة لمعنى التسمية.

فورد إسمها عند الجغرافيين العرب بأشكال متعددة **واركلان، وارجلان، واركلا، وارقلان ورقلة، وارقرن**، فهذه الأسماء كلها التي تختلف في النطق وشكل الكتابة ، والجهة التي أطلقتها والعصر الذي استعملت فيه ،دالة على مكان واحد هو مدينة وارجلان، ورقلة حاليا وقد

---

(22) * الشيخ" حادور "هو أحد اباضية "زنجبار" المعروفة ببيع وشراء العبيد السّود ، وقد قدم الى سدراتة مع رفاقه فوجد سكانها من ذوي البشرة البيضاء يحكمهم أئمة من جبل "نفوسة "فانتقل بعد ذلك الى وارجلان التي أسسها ، فأطلق عليها سكان سدراتة هذه التسمية استهزاء بحكامها الجدد وكذلك نتيجة الخليط العرقي لسكانها بمعنى الأطفال السود عن: lethielleux : Ouargla Cité Saharienne p20

(23) lethielleux(J) ibid p p :35

(24) Duveyrier(H), (1864)**Exploration du Sahara** -LesTouareg du Nord,-Tome Premier, challamel-Ainé –Paris , P 284.

(25) أحمد ذكار،(2014) **مدينة ورقلة التسمية والتأسيس**، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 17،جامعة قاصدي مرباح ورقلة،ص 160.

(26) أبو زكريا يحي بن بكر،(1979) **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ،ص 124

ذكرها البكري قائلا:" فإن أردت من تادمكة إلى القيروان فإنك تسير في الصحراء خمسين يوما إلى وارجلان، وهي سبعة حصون للبربر أكبرها تسمى أغرم أن يكامن أي حصن العهود"[27].

أما الإدريسي قد رسم الكلمة بـ : وارقلان حيث قال : "ومن مدينة المسيلة إلى وارقلان اثنا عشر مرحلة كبار وهي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة .."[28]، وقد ركز وصفه على الجانب الاقتصادي المتطور، لكون تجارها يشترون أغلب التبر الذي في بلاد السودان الغربي، ويضربونه عملة في بلادهم تسمى الدينار"[29] .وقد ضبطها ياقوت الحموي التسمية قائلا: << وارجلان : بفتح أوله وسكون وفتح الجيم وآخره نون كورة بين افريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر كثيرة النخيل والخيرات >>. [30] وقد ذكرها الدمشقي باسم وارقلان قائلا<< وارقلان: وبينها وبين تادمكة خمسون مرحلة وهي سبع حصون يسكنها البربر وهم إباضية لا يقيمون جمعة...>> [31].

وجاء ذكرها عند الحميري بوارکلان<< وارکلان في طرف الصحراء مما يلي افريقية وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين وفيه سبع مدائن ميسورة وحصينة>> [32]. أما ابن خلدون فقد حدد التسمية<< بنو وارکلا إحدى بطون زناته من ولد فريني بن جانا>>[33].يقول أحمد توفيق المدني << ورقلة واسمها الأصلي بني وارجلان قصر من أبدع القصور البربرية في الجنوب الجزائري>>[34] ، وقد ذكر الشيخ إبراهيم أعزام معظم الأسماء التي عرفت بها المدينة وقال أن المعروفة به الآن هو وارجلان و ورقلة [35].

وقد فسّر المؤرخ "جون ليتيو" lethielleux,(J) معنى تسمية كلمة ورقلة أو وارجلان في كتابه "ورقلة مدينة صحراوية" حيث يقول فيه <<وركلة مدينة بربرية واسمها الأصلي "وارکلان"وهي كلمة مركبة من شطرين الأول"**وار**" وتعني عند البربر "**أولاد" أو"أبناء**" وتأتي في

---

[27] البكري أبي عبيد الله،(2003م-1424هـ) **المسالك والممالك**، مج 2، حققه وضع فهارسه جمال طلبة ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ..ص:371.

[28] الإدريسي، المصدر السابق ، مج1، ص296.

[29] المصدر نفسه، مج1، ص296.

[30] ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص:427.

[31] الدمشقي، المصدر السابق، ص:316.

[32] الحميري ، المصدر السابق، ص:600.

[33] ابن خلدون: المصدر السابق، مج7.ص: 106.

[34] أحمد توفيق المدني :(1382هـ/1960م)، **كتاب الجزائر** دار الكتاب البليدة ، د.ط الجزائر، ص:227.

[35] إبراهيم أعزام : غصن البان في تاريخ وارجلان كتاب مخطوط .ص:4.

بداية الاسم مثل "**وارفجومة**" و"**وارسنيس**" وهذه الكلمة مأخوذة من كلمة"**أرو**" و "**أرا**" وتعني النفاس أو الوضع. أما الشطر الثاني "**كلان**" مفردها "**أكلي**" وتعني الأسود وعند الجمع أبناء السود أو أبناء الزنوج[36].

أما لارجو"largeau"فنسب اسم المدينة إلى امرأة سكنت مكان المدينة حينما شنت الغارة على جبل كريمة حيث بنت كوخا وغرست نخلا فسميت المدينة باسمها[37]

وتبقى هذه الروايات مجرد احتمالات ليس من المقدور القبول بها، لكن قد تحمل في طياتها جانبا مما يُمكن اعتماده بداية لتلمس عمق الجذور التاريخية لهذه المدينة، التي ليس من شك أنها كانت من أهم المدن الصحراوية بالمغرب الأوسط، لها تاريخ موغل في الزمن. [38]

وصفوة القول فإن تسمية وارجلان هي التسمية التي تستعملها المصادر الإباضية مثل أبو زكريا والوسياني والدرجيني، أما المصادر الأخرى فإنها تذكر هذه التسمية والتسميات الأخرى التي سبق ذكرها.

والأرجح أنها تعود إلى القبيلة الزناتية **بنو واركلا** التي استوطنت هذه المنطقة في العصر النوميدي ومنها أشتق اسم المدينة "واركلان" أو "وارجلان" وقد اختلفت التسمية لاختلاف نطقه لدى القبائل البربرية .

أما التفسير اللّغوي الذي أعطاه "ليتيو" لأصل تسمية واركلان فنرى أنه صحيح إلى حد كبير، وخاصّة أنني تحاورت مع بعض سكان القصر العتيق ، فوجدت أن الكلمة هي فعلا مركبة وتعني "الأبناء السود".

2- التطور التاريخي للمدينة :

مدينة وارجلان متوغلة في القدم ، ويعود تاريخ نشأتها إلى ما قبل الفتح الإسلامي فهي تحتل مركزا عمرانيا هاماّ ممّا أهلها فيما بعد لتكون مركزا تجاريا هاما يربط بين شمال إفريقيا وشمال الصحراء وجنوبها ثم غربها وشرقها.

ولكي تتضح لنا معالم هذه المدينة العريقة لا بدا من إطلالة تاريخية بسيطة لأهم المراحل التي شهدتها عبر تاريخها الطويل.

2-1- في العصر القديم:

أ- **العصر الحجري**:عرفت منطقة وارجلان وجود الإنسان في العصر الحجري القديم والعصر الحجري المتأخر[39]حيث تم العثور على بعض الحفريات والمتمثلة في الحجارة المنحوتة والتي تم اكتشافها في منطقة ملالة وسيدي خويلد كما عرفت المنطقة أيضا صناعة الشفرات

---

(36) lethielleux, (J):OP.Cit : p20

(37) Largeau(V) :(1879)**.le pays de rirha :Ouargla voyages à Rhadames** laibrerie hachette Paris p 156

(38) عمار غرايسة،(2011م) **من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15 (410-428)، جامعة غرداية ص412

(39) Lybica Op.Cit P 235

، كما عثر الباحثون على أثار لمساكن ترجع إلى العصر الحجري وهي تظهر وكأنها أقيمت على حواف وادي أو نهر،[40] ومن أهم صناعات العصرين السابقين نجد صناعة << البيض المزخرف>> و << الآبار القديمة >>خاصة بمنطقة انقوسة وبرج ملالة[41].

كما عثر أيضا بموقع قارة كريمة وبرج ملالة على صناعات ذات تأثيرات قفصية دون العثور على بقايا إنسانية توافق هذه الصناعات[42].

ب– العصر الروماني:لم تشير الكتابات القديمة إلى تسمية وارجلان (ورقلة) سواء عند المؤرخين الإغريق أو الرومان وحتى وان وجدت فإنها تكون باسم آخر[43].

وهذا راجع ربّما إلى بُعد المنطقة عن التيارات السياسية الشمالية ، فقد بقيت في منأى عن الغزو الأجنبي في الفترة القديمة ، وبالرغم ومن ذلك فقد حاول بعض الباحثين الأوربيين أن يثبتوا الوجود الروماني أمثال (دارمانياس)[44] ،الذي أشار إلى دفع وارجلان الضرائب إلى روما كما حاول الكاتب دوماس(daumas) أن يبرهن على تواجد الرومان بمنطقة غرداية[45]. بينما يعتقد البعض الآخر أن الشعوب التي بنت قصر وارجلان هم شعوب" القرامنت" والتي ذكرت في كتابات هيرودوت وسترابون[46]. ولعل رمز "التانيت" الذي وجد على واجهات الأبواب بوارجلان هو أهم شيء شد اهتمام الباحثين الأوربيين أمثال" ستيفان قزال" حيث اعتبره رمزا فنيا استعمله الفينيقيون في زخرفتهم[47].

كما تم العثور على بعض النقود البونيقية على الطريق الرابط بين وارجلان والمنيعة تدل على التبادل التجاري بين المنطقة والنيجر[48]،إضافة إلى وجود مجموعة من النقود الرومانية عثر عليها بمنطقة وارجلان تؤكد العلاقة التجارية بينها و بين بقية المدن النوميدية[49].

والبعض الآخر يرى أن الرومان قد دخلوا وارجلان لكنهم لم يستقروا بها حيث اكتفوا بإقامة عدة نقاط للمراقبة في الصحراء ولجمع الضرائب ووصلت إحدى حملاتهم بقيادة كورنيلوس بالبوس corniulus balbus إلى النيجر سنة 20 ق.م.[50]

ومن خلال ماسبق نستنتج أن الرومان لم يحتلوا المنطقة لكن وجود العديد من القطع النقدية تجعلنا نطرح فرضية وجود تبادلات تجارية بهذا المكان بين مقاطعتي نوميديا وإفريقيا.

([40]) Madleine (R) Op.cit: pp 09-10
[41] Libyca Op.cit: p235
[42] Berthelot (A) Op.cit p241
[43] Berthelot (A) Op.cit : p241

(44) بوعصبانة، عمر لقمان،(1992م) **معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، 296–626هـ/909م–1229م**، بحث لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية إشراف د. محمد ناصر – المعهد العالي لأصول الدين – وزارة الجامعات– جامعة الجزائر. ص 17

[45] Daumas. l: (1845) **le sahara algerien** etude geografique statistique et hitirique sur la region du sud des établisment francais en algérie fortin masson et cit) paris P72 .
[46] Madeleine (R) : Op.cit p10
[47] Ibid : p10
([48]) Lethielleux (J) Op.cit p10
([49]) Madeleine (R) : Op.cit p10

([50]) مسعود مزهودي:(1417هـ- 1996م) **الإباضية في المغرب الأوسط** ، نشر جمعية التراث ، غرداية الجزائر، ص:30.

2-2- وارجلان الإسلامية :

يرى ابن خلدون أن الإسلام قد وصل للمنطقة خلال القرن الخامس الهجري في قوله" لأن العرب لم يكن لهم المغرب في الأيام السابقة بوطن وإنما انتقل في أواسط المائة الخامسة أفاريق بني هلال وبني سليم اختلطوا في الدول هنالك... وأما آخر موطن للعرب فكانت برقة"[51]، و يرى البعض الآخر أن العرب الفاتحين لم يكن لهم أثر بالمنطقة وأن من نقل الإسلام إليها هم البربر[52].

وعلى ما العكس مما تم ذكره فإننا نجد أن وصول الإسلام إلى هذه المنطقة تم على يد القادة العرب المسلمين الأوائل كعقبة ابن نافع الفهري، الذي قاد كتائب الجيش العربي الإسلامي عبر الصحراء وصولا إلى حدود السودان الأوسط سنة 22هـ/643م، ثم واصل زحفه غربا إلى أن وصل إلى وادي درعة بالمغرب الأقصى.

إن هذا الجهد العسكري المبكر للفاتحين العرب المسلمين في القرن الأول الهجري – السابع الميلادي-، قد رسّخ الإسلام لدى سكان الصحراء بما فيها وارجلان ، خاصة بعد حملاتهم الاستطلاعية الأولى للوصول الى بلاد السودان أيام الوالي الاموي عبيد الله بن الحبحاب الذي بعث جيشا بقيادة حبيب بن عبد الله الفهري (حفيد عقبة بن نافع) سنة 116هـ-734 م[53].

وعلى العموم فإن مدينة وارجلان قد اكتسبت أهميتها في عهد الدولة الرستمية.

أ- وارجلان الرستمية: في أثناء القرن الثاني الهجري حاول أئمة الإباضية على رأسهم أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة إقامة دولة مستقلة بالمغرب وفق المذهب الإباضي وذلك بإرساله حملة العلم الخمسة وكان من بينهم عاصم السدراتي فقد بايع أبي الخطاب عبد الأعلى المعافري بالإمامة في طرابلس سنة 140هـ، وقد لقيت دعوة عاصم السدراتي استجابة لدى أهل سدراته ووارجلان الذين بايعوا أبي حاتم الملزوزي[54]ولكن فشل ثورة أبي حاتم ضد السلطة في القيروان أدى بأهل وارجلان إلى انتهاج سياسة الانطواء والعزلة، إلى غاية قيام الدولة الرستمية بتاهرت على يد عبدالرحمن بن رستم سنة 160هـ ، حيث أعلن أهل وارجلان ولائهم للدولة الرستمية فكانت تعاليم هذا المذهب تُطبق بالمنطقة[55].

ولكن هذا الولاء بقي روحيا أكثر منه سياسيا ، فقد بقيت مدينة وارجلان وسدراته مستقلتين وكل ما يربطها بالدولة الرستمية هو اعترافها بالتبعية الاسمية لها وكان يدير شؤونها أبو صالح جنّون بن يمريان.

---

(51) ابن خلدون : العبر مج 6 ، ج11 ص: 8.

(52) سليمان بوعصبانة :المرجع السابق. ص :27

(53) صباح الشيخلي : (ربيع الآخر 1423هـ-يوليو –تموز 2002م) **ملاحظات حول انتشار الثقافة العربية الاسلامية في افريقية جنوب الصحراء** مجلة آفاق الثقافة والتراث السنة العاشرة العدد 38 ص 20.

(54) مصطفى بن صالح باجو: **أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي مقارنة بأبي حامد الغزالي** : بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير إشراف د. محمد السويسي جامعة قسنطينة معهد الشريعة 1412هـ 1413هـ/ 1992-1993 ص24.

(55) علي يحي معمر : **الإباضية في موكب التاريخ**. ج2 المطبعة العربية غرداية 1985.ص،393 .

ب– مصير المدينة بعد سقوط الدولة الرستمية:بعد أن تمكن أبو عبد الله الشيعي القضاء على الدويلات التي بالمغرب الإسلامي، الأغالبة بإفريقية والرستميين بتاهرت وبني مدرار بسجلماسة فرّ أخر أئمة الرستميين يعقوب بن أفلح مع أهله وجمع غفير من أهالي تاهرت متجهين إلى وارجلان وسدراته وذلك خوفا من بطش الشيعي[56].

كما كان لوارجلان دور في ثورة أبي يزيد مخلد بن كيداد (صاحب الحمار) ، فقد فرّ إليها سنة 325هـ بعد تخلصه من الاعتقال، وبقي بها لمدة سنة لاستجلاب الأنصار ومعاودة الثورة وكان طيلة هذه السنة دائم التردد بين وارجلان وبني برزال و الأوراس[57]، وبعد مواصلته للثورة حوصر أبو يزيد في جبل كنانة، فكانت الإمدادات تصله من سدراته و وارجلان فقرر المنصور الفاطمي الهجوم عليها لقطع الإمدادات وقد حاول أبو يزيد إقامة حكومة مستقلة بوارجلان عن الحكم الفاطمي حيث طبع سكة ذهبية [58]، لكن أعماله الشنيعة جعلته محل سخط أهالي المغرب فقد ارتكب المعاصي والفجور ففاقت أعماله الجبابرة والكياسرة ، فآلت ثورته إلى الفشل بعد أن قضى عليه إسماعيل المنصور الفاطمي .[59]

ج– علاقة وارجلان ببني زيري :بعد انتقال الفاطميين من المغرب إلى مصر وتركهم لبني زيري يمثلون الخلافة الفاطمية بالمغرب، لكنّ هذا الولاء لم يدم طويلا إذ سرعان ما أعلنوا استقلالهم بالحكم لتتشكل الدولة الصنهاجية بالمغرب الأدنى والدولة الحمادية بالمغرب الأوسط ، وقد حاول بنو زيري بسط نفوذهم على معاقل الإباضية بالجريد حيث حاصروا قلعة درجين بنفطة سنة440هـ ، وقتلوا أهل الحصن مما جعل إباضية الجريد يفرون إلى وارجلان لبعدها عن نفوذ بني زيري.[60]

وقد حاول السلطان الحمّادي الناصر بن علناس الاستيلاء على وارجلان حيث بعث ابنه المنصور إلى المنطقة وذلك للثأر من أتباع المستنصر بن خزرون الزناتي الذي أعلن تمرّده على الحكم الحمّادي وفرّ إلى الصحراء[61] وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون << بعث الناصر الحمّادي ابنه المنصور إلى بلد واركلا و ولّى عليها وقفل راجعا بالغنائم والسّبي>>[62] .

ويبدو لي أن سبب الصراع بين الطرفين على المدينة هو محاولة كل منهما السيطرة على طريق تجاري ، على أساس أن المدينة تعد أحد المراكز التجارية مع جنوب السودان .

---

(56) Letielleux (J) op.cit p14

(57) محمود اسماعيل :(1406هـ–1985م) **الخوارج ببلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**. دار الثقافة، المغرب، ص:181.

(58) مصطفى باجو :. مصطفى باجو: **فقه العمارة وأصول الأرضين، لأبي العباس الفرسطائي**، بحث مقدم لندوة تطور العلوم الفقهية، برعاية وزارة الأوقاف والشؤون الدينية،سلطنة عمان 2013. ص:29.

(59) أبو زكريا يحي بن أبي زكريا : المرجع السابق ،ص118

(60) الشماخي : أبو العباس احمد بن سعيد (1412هـ–1992.) **كتاب السير** تحقيق أحمد بن سعود السيابي ج2 ، وزارة التراث الثقافي، ط2، سلطنة عمان ص:400.

(61) عبد الرحمن الجيلالي:(1965) **تاريخ الجزائر العام**، ج1 منشورات مكتبة دار الحياة ، ط 2 بيروت ص 370

(62) ابن خلدون : المصدر السابق ، مج 11.ص:356.

كما ازدادت الهجرات نحو المدينة خاصة أثناء الغزو الهلالي لبلاد المغرب نتيجة للخراب الذي أحدثوه في افريقية والمغرب الأوسط حيث يقول ابن خلدون<< جاء العرب دخلوا البلد واستباحوه ،واكتسحوا المكاسب وخرّبوا المباني وعاثوا في محاسنها، وطمسوا من الحسن والرونق معالمها >>[63]

د- وارجلان في عصر الموحدين: مرت وارجلان خلال العصر المرابطي بفترة من الازدهار والرخاء فقد كثر بها الذهب مما جعل السكان المحليين يضربون دنانير محلية على شاكلة الدنانير المرابطية لكنها لم تكن في نفس نقاوة وجودة صنعها،إلا أنها وجدت رواجا في المنطقة ووصل التعامل بها إلى نواحي الجريد بافريقية[64].

أما خلال العصر الموحدي فتذكر المصادر الإباضية أنّ المهدي بعث دعاته للتبشير بالدعوة المهدية ويدعوهم إليها، فأجمعوا على قتله لكنهم بعداستشارتهم للفقيه أبي يعقوب رفض القتل وأقنع القوم بأنهم لايشكلون أي خطر على بلدهم وأمرهم بأن يلبوا هذه الدعوة[65]، وهذا التأييد يعود ربّما إلى ماشاع عن ابن تومرت من حسن السيرة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر[66].

ولم يتبيّن دور وارجلان في هذه الفترة هل خضعت للموحدين أم إنطوت على نفسها؟، وتذكر المصادر التاريخية أنّ بعض علماء الإباضية كان لهم حظوة في البلاط الموحدي أمثال أبي زكرياء اليراسني الذي كان مستشارا لدى عبد المؤمن بن علي ولابنه يعقوب المنصور فيما بعد.

لكن وارجلان حافظت على استقلالها خاصة بعد إنشائها لنظام العزّابة الذي يرمي إلى تسيير شؤون المجتمع وعلاقته الداخلية والخارجية مع إهمال الجانب السياسي.[67]

وبعد ذلك استعادت وارجلان ازدهارها حيث يقول ابن خلدون " ولما استبد الأمير الحفصي أبوزكريا بن أبي حفص بملك افريقية وجال في نواحيها في إتباع ابن غانية ومر بهذا المصر فأعجبه وكلف في الزيادة في تمصيره، فاختط مسجده العتيق، ومئذنته المرتفعة، وكتب عليها اسمه وتاريخ وضعه نقشا في الحجارة. "[68]وقد كان بناء هذا المسجد بين سنتي 1319-1346م [69]،

و- وارجلان في الفترة العثمانية :

تعرضت المنطقة لحملات العثمانيين رغم بعد المسافة بين مدينة الجزائر والمنطقة بعد استيلائهم على منطقة الزّاب ، وكانت أول حملة وصلت إلى منطقة وارجلان سنة 1552م بقيادة صالح رايس بايلرباي الجزائر، على رأس جيش متكون من آلاف المشاة وألف من الفرسان

---

(63) المصدر نفسه: مج 11.ص:34.

(64) Lethielleux(J): Op.Cit p105

(65) سليمان بن يوسف : المرجع السابق .ص:94.

(66) بكير أعوشت:(1987) **أبو يعقوب الوارجلاني و المدارس الكلامية** المطبعة العربية غرداية –الجزائر- ، د ط ص، 36.

(67) مصطفى باجو : المرجع السابق ، ص 29

(68) ابن خلدون : كتاب العبر مج 7، ص 106.

(69) حسن الوزان: المصدر السابق ج2 .ص:439.

،إلا أنّ الحملة لم تحقق مبتغاها إذ رجع الجيش ولم يترك حامية عسكرية بالمنطقة التي كان قد رحل عنها حاكمها وأربعة ألاف فارس إلى نواحي المنيعة مع كثير من الأهالي قبل وصول الجيش العثماني(70).

أما الحملة الثانية فقد قام بها يوسف باشا سنة 1649م وحققت الغرض بدليل أن الضريبة التي اعتاد السكان دفعها إلى خزينة الجزائر مسجلة في دفتر التشريفات بتاريخ 1205هـ/1709م(71).

3- **عناصر السكان** :سكان وارجلان الأصليون هم الأثيوبيون أو القرمانيون الذين يسكنون وسط القارة الإفريقية(72)أما عن وجود البربر بالمنطقة فيرجع إلى الغزو الروماني لبلاد المغرب الأوسط والحروب الدامية التي حتمت على البربر التراجع عن المدن والسواحل والتمركز بالجبال والصحاري.

وما دعم هذا الوجود البربري بالصحراء هو ربما الاتفاق الذي تم بين الرومان والبربر، والذي مضمونة أن تكون المدن والبلاد الساحلية للروم، أما أطراف البلاد والجبال والصحاري للبربر(73)، و ربما كانت علاقة الرومان بسكان الصحراء هو أن يدفع هؤلاء ضرائب للسلطات الرومانية.

و هناك من يرى أن الحروب التي شنها العرب الفاتحون ضد السكان الأصليين أدت إلى نزوح البربر إلى الداخل، وكان من بين القبائل النازحة " بنوواركلا" من زناتة الذين استقروا في منطقة وارجلان وسميت المدينة باسمهم(74) .

لذا نجد أن الجنس البربري سكن منطقة وارجلان منذ القدم ، وبعد انتشار الإسلام بالمنطقة أدى ذلك إلى امتزاجهم بالمسلمين من العرب والعجم ليتكون سكان منطقة وارجلان، وسنحاول في هذا البحث أن نعطي لمحة بسيطة عن أهم العناصر البشرية التي سكنت منطقة وارجلان.

أ**– قبيلة زناتة** :يقول ابن خلدون في أصل تسمية هذه القبيلة << أن زناتة من صيغة جانا التي هي اسم أبي الجيل كله ، وهو جانا بن يحي المذكور ، وهم إذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن، ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها والشين أميل إلى السين فصارت زنات لفظا مفردا دالا على الجنس...>>(75).

---

(70) De haedo fray diego :(1881) histoire des rois d'Alger. p:272

(71) Feraud (CH) : le sahara de constantine alger 1887 p489 .

(72) Le Gouverneur général d'Alger : Op-cit N°316 p 381-.382

(73) التيجاني :(1958) **رحلة التيجاني** ، تصحيح حسن عبد الوهاب، المطبعة الرسمية تونس، ص 160

(74) مسعود مزهودي : المرجع السابق: ص 31

(75) ابن خلدون : كتاب العبر، مج 7: ص 13

وتتوزع هذه القبيلة على كامل تراب المغرب من غدامس شرقا وقرى الجريد إلى السوس الأقصى غربا، وهي تتركز بالخصوص في المغرب الأوسط الذي ينسب إليهم ويسمى وطن زناتة[76]ويتفرع عن زناتة عدة قبائل أهمها:

أ-1- **بنو واركلا:** إن هذه القبيلة –كما ذكرنا سالفا- هي التي أعطت اسمها لمدينة واركلا أو وارجلان وهي إحدى فروع قبيلة زناتة وهو ما ذكره ابن خلدون قائلا:<< بني واركلا بطن من بطون زناتة كانت مواطنهم قبلة الزاب واختطوا وارجلان على ثماني مراحل من بسكرة في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب بنوها قصورا متقاربة ، ثم استبحر عمرانها فصارت مصرا واحدا >> [77]ومن هذه القبيلة انحدر سكان وارجلان الحاليين: بنوسيسين، بنو وقين، بنو إبراهيم وهم يعدون سكانها الأصليين وهم يلتقون في جدّ واحد هو الورقلي[78]

أ-2- **بنو مغراوة** :ينتهي نسب هذه القبيلة إلى الديرت بن جانا أي أنهم من زناتة ومن مغراوة قبيلة بنوريغة وهم ينتشرون جنوب المغرب الأوسط بجبل عمورو الأغواط و واركلا (وارجلان)[79]

أ-3- **بنوورماز** :هي إحدى فروع قبيلة زناتة وقد اشتهرت بالفساد و سلب المارة وقطع الطرق وشن الغارات على المسافري و سكن فرع منها آريغ وفرع آخر وارجلان[80]

ب- قبيلة سدراتة :يعود أصل السدراتيين إلى قبيلة لواتة وهي بطن عظيم من بطون البربر[81]وهم يتواجدون في منطقة برقة و الأوراس ووارجلان، كما توجد قبائل بربرية بالمنطقة مثل: قبيلة يفرن، وتناوته وزنداك...،[82].

ج- العرب:استيطان العرب لبلاد المغرب كان في أواسط المائة الخامسة للهجرة يقول ابن خلدون<< لأن العرب لم يكن لهم بالمغرب في الأيام السابقة بوطن، وإنما انتقل إليه في أواسط المائة الخامسة أفاريق بني هلال بني سليم اختلطوا في الدول هنالك>>[83]

فاستولى هؤلاء الأعراب على الحواضر والبوادي وشنوا الغارات وقطعوا الطرق[84]،و تغلب الهلاليون على أطراف الزاب و واركلا، وقصور أريغ، وصيروها سهاما بينهم، وانتزعوها للموحدين فكان آخر عهدهم بملكها[85].

---

(76) المصدر نفسه، مج 07، ص 04

(77) المصدر نفسه مج 07، ص 107

(78) بوعصبانة: المرجع السابق ، ص 24

(79) محمد بن عميرة :(1984م) دور زناتة في الحسبة المذهبية بالمغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. ص19

(80) علي يحي معمر : المرجع السابق، ص 175-176

(81) ابن خلدون :المصدر السابق ، مج 6 ص 234

(82) بوعصبانة ،المصدر السابق، ص ص 24-25-26

(83) ابن خلدون :المصدر السابق ، مج 6 ص 8

(84) ابن الأثير :(1979) الكامل في التاريخ، مج8 دار صادر بيروت لبنان ص 55

(85) ابن خلدون: المصدر السابق، مج 11 ص 73

فاضطر سكان وارجلان إلى تقديم ضرائب إلى هؤلاء الأعراب وهو ما ذكره الوزان عند وصفه لأمير وارجلان قائلا<< يؤدي إلي جيرانه الأعراب خراجا مرتفعا>> [86].

لكن هناك بعض القبائل العربية التي اندمجت وسط سكان وارجلان اندماجا شبه كلي مثل قبيلة بني معقل، (108) وهذا يرجع ربما إلى اختلاف أسلوبهم عن أسلوب بني هلال وبني سليم في العشرة وحسن الجوار، وعدم اعتراضهم السابلة في الصحراء بأذى أو مكروه مما جعلهم يندمجون في المجتمع الوارجلاني ويتعلمون لغتهم، ومنهم من اعتنق المذهب الإباضي،[87] .

أما سكان قصر وارجلان اليوم فهم بنو وقين وهم إباضية، بنوسيسين معظمهم مالكية، بنو إبراهيم مالكية كلهم،وهؤلاء الثلاثة ينحدرون من القبيلة الزناتية بنو واركلا.

والملاحظ على هذه التركيبة الاجتماعية أنها غير متجانسة مما أثر على المجتمع الوارجلاني- أحيانا – من حيث عدم الاستقرار، وكثرة الاضطرابات بسبب اختلاف المشارب والأعراق والمذاهب ضف إلى ذلك انعدام سلطة قوية بالمدينة تضع الأمور في نصابها وتتحكم في الوضع .

4- طبقات المجتمع الوارجلاني :

إن هذه الفسيفساء البشرية التي تشكل المجتمع الوارجلاني بمختلف أعراقه وأطيافه، إضافة إلى النشاط التجاري للمدينة ، حيث أصبحت مقصدا و ملتقا للتجار من مختلف الأمصار، الذين اتخذوا منها مستقرا لهم، فسكنوا ما كان فيها من فنادق ومنازل وديار وانطلاقا منها كانوا يتجولون في بلا السودان لجلب التبر والعبيد للاتجار بهم والذين أصبحوا جزء غير منفصل عن الكيان الاجتماعي لوارجلان، مما جعلنا نستشف ملامح فئات وطبقات المجتمع الوارجلاني فيما يلي :

أ- **المشائخ** : إن لمشائخ وارجلان دور مهم في تسيير شؤون المدينة وكانوا بمثابة أهل الحل والعقد في كثير من المسائل ذات الطابع الفقهي أو الاجتماعي، وهم يملكون نوع من السلطة الروحية والمعنوية ومن أشهر من تقلد المشيخة بوارجلان أبو يعقوب يوسف بن سيلوس الطرفي (250هـ-300هـ) ، وقد وصف بالجهادين الأكبر والأصغر، و الجهادين هما المصلى والدفتر [88]وقد تقلد القضاء بوارجلان وكان النهاية في الإفتاء [89].

---

(86) الوزان : المصدر السابق، ج2 ص 137

(87) بوعصبانة : المرجع السابق ، ص ص 27 -28 .

(88) الدرجيني : طبقات المشائخ بالمغرب ج2 تحقيق إبراهيم طلاي مطبعة قسنطينة الجزائر د.ت ص 331

(89) الشماخي : المصدر السابق ، ص 228.

وتذكر المصادر الإباضية الشيخ أبو صالح جنون بن يمران الذي يعد من أبرز الشخصيات التي تولت المشيخة خلال القرن الرابع الهجري، وقد وصفه علي يحي معمر في كتابه الإباضية في موكب التاريخ<< كان الرجل عالما غزير المادة ذكيا ، واسع العلم كريما ، فكان لسعة ماله وعلمه مقصدا للناس يأتونه من كل جانب، وقد حزم أمر وارجلان حتى صارت كتلة قوية >> (90).

وقد ذاع صيت الشيخ حينما التجأ إليه الإمام الرستمي يعقوب بن أفلح فرارا من تاهرت حينما هجم عليها الفاطميون فلم يجد مكان يحتميه فيه إلا وارجلان ، فاستقبله الشيخ أحسن استقبال وأكرم وفادته(91)وللشيخ أبو صالح جنون بن يمران الفضل الكبير في ازدهار الحركة العلمية في وارجلان، حيث العلماء يقيمون عنده، كما ينفق على التلاميذ والطلبة(92).

ولهذا كان لهؤلاء المشائخ مكانة مرموقة في المجتمع وتذكر بعض المصادر أن وارجلان خلال العهد الرستمي، كان يتم تعيين ولاة بصورة مباشرة من قبل الإمامة بتاهرت وهم بمثابة الإمام أمام رعيتهوهم يقومون بالفصل في جميع القضايا التي تعرض عليهم، أمثال الشيخ أبو عبد الله السدراتي الذي حكم وارجلان، وهؤلاء الولاة يخضعون لمجلس مهمته التولية والتنمية وفقا لمعايير ومحدّدات تكون ضمانا لسلامة الأداء لهاته المهمة(93).

ولذا نرى أن هاتين الفئتين المشائخ والولاة قد تبوأ كلا منهما المكانة الأولى في المجتمع الوارجلاني إضافة إلى القضاة وهم عادة يكونون من المشائخ بالرغم من أنهم لم يكونوا ذوي سلطة مركزية أمثال الشيخ يوسف بن سيلوس الطرفي الذي تولى قضاء وارجلان خلال القرن الثالث الهجري(94) .

ب– التجار: كان للحركة التجارية لوارجلان التأثير البالغ على المستوى المعيشي لسكانها، حيث برزت فئة من التجار الأغنياء الذين تحكموا في الحركة التجارية نحو بلاد السودان واحتكارهم التبر المجلوب من هناك ، حيث تكونت لديهم ثروة طائلة وقد ذكر ابن حوقل<< قوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة ونعم سابغة قلما يدانيها التجار في بلاد الإسلام سعة حال>>(95)وقد وصفهم الإدريسي قائلا<< مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء >>(96).

إن حالة اليسار التي كان يعيشها هؤلاء التجار جعلهم يساهمون في إدارة الحياة العامة لوارجلان، فهذه السلطة المالية مستمدة من النشاط التجاري والذي أدى أيضا إلى تحول اجتماعي وعمراني الذي استبحرت فيه وارجلان،(97)مما يعني توسعها لتضم مجموعة من

---

(90) علي يحي معمر : المرجع السابق، ص 228.
(91) بوعصبانة: المرجع السابق ، ص 107.
(92) مسعود مزهودي : المرجع السابق، ص 241.
(93) أبو زكريا : المصدر السابق، ص 144.
(94) الدرجيني : المصدر السابق ج2 ص331
(95) ابن حوقل: المصدر السابق ص 65
(96) الإدريسي :المصدر السابق، مج1 ص296
(97) ابن خلدون كتاب العبر، مج 6ص 118

القصور، كما أدى هذا النشاط إلى تحول المجتمع الوارجلاني من حالة البداوة إلى التحضر وتجاوزوا ما هو ضروري لطلب الكمال[98] ،خاصة التجار منهم الذين أصبح لهم سلطة ونفوذ كبيرين داخل المجتمع.

ج– العبيـد: تعتبر مدينة وارجلان مستودعا للعبيد ومنها يوجهون إلى سائر أنحاء البلاد والى الخارج[99]وكان العبيد في المجتمع الوارجلاني يشكلون القاعدة حيث بيعهم وشرائهم جائز[100]ومادام أهل وارجلان تجار في أغلبهم فقد أوكلوا للعبيد الأعمال الشاقة مثل حفر الآبار وتنظيف العيون والبناء ، كما كانوا لا يتلقون ما يستحقون مقابل جهودهم[101]مما أدى إلى حالة من اللاتوازن و اللاإستقرار على مستوى البنية الاجتماعية مما جعلهم يقبعون في قاعدة الهرم اجتماعي لسكان وارجلان. واتضح لنا من خلال بعض الروايات التاريخية أن سكان وارجلان لم يكونوا كلهم أغنياء بل هناك فئات كبيرة من المجتمع كانت تعيش حالة البؤس والفقر مثل اليتامى والمساكين والتي تركن رفقة العبيد في قاعدة الهرم الاجتماعي لوراجلان [102].

هذا التمايز المعيشي جعل المجتمع الوارجلاني يعيش نوع من الطبقية والتي أثرت بشكل غير مباشر على حالة عدم استقرار المجتمع وانسجامه.

5– دور وارجلان في التجارة نحو بلاد السودان وبلاد المغرب(الخريطة 1)

أ– نحو بلاد السودان:

لقد عرفت الحركة التجارية والتبادل التجاري بواسطة القوافل التي تجوب الصحراء نشاطا كبيرا ببلاد المغرب خلال القرون الوسطى واستطاع المسلمون سواء كانوا من العرب أو من البربر خلال هذه الفترة أن يحتكروا ا تجارة القوافل عبر الصحراء والاتصال بأهل السودان اتصالا مباشرا.

وكان لمدينة وارجلان الدور البارز في هذه الحركة التجارية سواء خلال عهد الدولة الرستمية أو بعد سقوطها، وذلك نظرا لموقعها الاستراتيجي بحيث أنها تقع على طريق بلاد السودان على مشارف الصحراء وبذلك أصبحت هذه المدينة محطة أو مركز تجاري رئيسي على هذا الطريق الذي يربط المغرب الأوسط ببلاد السودان ، حيث كانت تمر عبرها القوافل التجارية كما ينطلق الكثير منها نحو السودان [103]ومما ساعد هذه المدينة على أن تكون مركزا تجاريا هام هو موقعها المميز بحيث أنها تقع بين العرق الشرقي والغربي الكبيرين، حيث أن

---

(98) ابن خلدون: المقدمة ،ص 133.

(99) محمد العربي الزبيري:(1984) **التجارة الخارجية للشرق الجزائري** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،،ص 168

(100) الشماخي : المصدر السابق، ج 5 ،ص 125

(101) الدرجيني : المصدر السابق ج1،ص 155

(102) علي يحي معمر : المرجع السابق ج1، ص 160

(103) قادو لفنسكي: **دور الصحراء الكبرى –تاريخ إفريقيا العام** ج3-الفصل11-المطبعة الكاثوليكية بيروت –لبنان 1988 ،ص: 331.

القوافل التجارية القادمة من الشمال تتحاشى هذه المصاعب الطبيعية فكان لزاما عليها المرور بوارجلان، حيث تتوفر على الأدوية والماء كما تجعل من واحتها الكبيرة مكانا للراحة وتبادل السلع واستئجار الإدلاء، واقتناء المزيد من الزاد فهذه الخصائص جعلت القوافل التجارية تمر تلقائيا بهذه المدينة مما زاد في شهرتها[104]، إضافة إلى اهتمام أئمة الدولة الرّستمية بتأمين تلك المناطق خاصة طرق القوافل، حيث كانت ترسل الجنود معها لحمايتها ، كما أنها قد حفرت الآبار في المناطق الداخلية في الصحراء[105].

وكان أهل وارجلان يقودون القوافل إلى السودان ويتولون التجارة حيث كانت مقايضة الذهب بالملح شيئا مربحا تحلبت له الأشداق فضَرَب أكباد الإبل كل من استطاع إلى ذلك سبيلا.

وقد حقق أهل وارجلان من هذه التجارة أموالا طائلة وأرباحا وفيرة فظهرت طبقة كبيرة من الأغنياء، وعمّ الرخاء بفضل التجارة نحو بلاد السودان وأصبحت وارجلان من الأكبر الأسواق التجارية في الصحراء ، وفي هذا الصدد نستشهد بما قاله الإدريسي <<ورجلان مدينة فيها قبائل مياسير وتجار أغنياء يتجولون من بلاد السودان الى بلاد غانة وغيرها، فيخرجون منها التبر، ويضربون في بلدهم سكة باسم بلدهم وهم وهبية إباضية >>[106]

وقد استمرت مدينة وارجلان في تجارتها مع بلاد السودان حتى بعد انهيار الدولة الرستمية، وظلت سوقا كبيرة في الصحراء ، إذ تحول النشاط التجاري إليها بعد رحيل الإباضية عن مدينة تيهرت نتيجة الغزو الفاطمي لها ، وكذا أثناء الثورات التي قامت بها زناتة، مما جعل المدينة تنتعش وتقام فيها الأسواق وتبنى فيها الفنادق لإقامة التجار واكتظت أرباضها بالبربر وفي هذا السياق قال الباروني << وكان أكبر المسافرين لتجارة السودان في ذلك العهد من أهل مدينة وارجلان وهوارة >>[107] أما فيما يخص مدينة سدراتة فإن المصادر الجغرافية لا تذكر شيئا عن أسواقها، ويبدو أن أهميتها قد تقلصت بعمارة وارجلان، واكتظاظها بالسكان وتحولها إلى أكبر مركز تجاري في صحراء المغرب الأوسط، كما أن سدراتة أصبحت بمرور الزمن ربضا من ارباض وارجلان لأنها لا تبعد عنها إلا قليلا [108].

ولقد كان لهذه الحركة التجارية الدؤوبة أثرا طيبا على سكان وارجلان وعاملا مثيرا كي ينشطوا في شتى مجالات الاقتصاد خاصة التجارة، فحذقوا فيها، حيث استقطبت وارجلان تبر غانة، فظهر ذلك جليا على أهلها غنى ويسارا، واستغلوا تلك الأموال في بناء القصور، وشق الترع والسواقي كما استحدثوا أسواقا جديدة لتجارتهم الرائجة [109]. وبقيت أهمية وارجلان كمدينة تجارية حتى بداية القرن السادس عشر،

---

(104) بوعصبانة : المرجع السابق ص: 137

(105) أحمد الياس حسين : **دور فقهاء الإباضية في إسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادي** ، مكتبة الضامري ، سلطنة عمان د.ت.ص 16

(106)الإدريسي : المصدر السابق، ص: 296.

(107) الباروني باشا :(1423هـ-2002م) **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية** القسم الثاني ط3 دار البعث قسنطينة –الجزائر ص: 239.

(108) مسعود مزهودي: المرجع السابق ص: 157.

(109) بوعصبانة : المرجع السابق ص: 138

حيث كانت لها علاقات تجارية مع مملكة اغادس ، ويأتيها الكثير من التجار من قسنطينة وتونس ليبادلوا بضاعتهم بالبضائع الآتية من السودان[110].

ب- نحو بلاد المغرب

نظرا لأهمية هذه المدينة من الناحية الجغرافية والسياسية فقد ارتبطت تجاريا بأكبر الحواضر سواء في افريقية أو بالمغرب الأوسط، أشهرها طريق وارجلان لأنها تعتبر همزة وصل بين الغرب الأوسط والسودان، فالذي يريد الذهاب إلى مدينة كوكو انطلاقا من تيهرت لا بد له أن يعرج على مدينة وارجلان حيث كانت تعد القاعدة التجارية للدولة الرستمية إلى غرب إفريقيا ومنها تتوزع بواسطة التجار المهرة حيث يقول الدكتور عبد العزيز سالم << اتصلت الدولة الرستمية بالسودان اتصالا تجاريا، وذلك عن طريق القوافل التجارية التي كانت تخرج من وارجلان قاعدة الرستميين التجارية في الصحراء،وكان تجار الدولة الرستمية يحملون المنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية وأواني الزجاج والفخار والخزف ذي البريق المعدني والملح إلى بلاد السودان لندرته عندهم فيبيعونه هناك بأسعار مرتفعة للغاية >>[111].

والذي يريد التنقل من تيهرت إلى وارجلان يمر بوادي أريغ والذي يعد محطة رئيسية بين المدينتين نظرا لتوسطه المسافة بينهما كما أنها مركزا من مراكز التجارة المرتبطة ببلاد السودان.

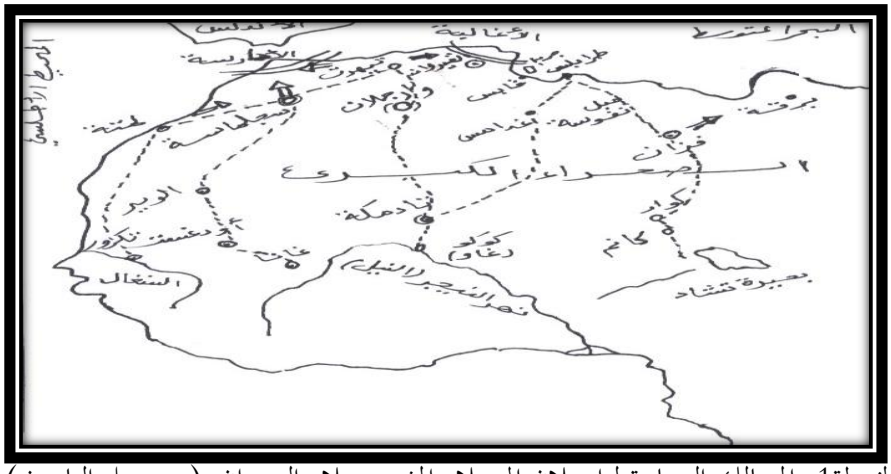

الخريطة1: المسالك التجارية لوارجلان إلى بلاد المغرب وبلاد السودان-(من عمل الباحث)

7- خاتمة:

لقد شكلت مدينة وارجلان نقطة الوصل بين المناطق الصحراوية والتل والمغرب الأوسط وبلاد السودان،حيث كانت محطة تجارية هامة، مما جعل بعض التجار المتنقلين يستقرون بها ، وقد انعكست الحركة التجارية على الوضع العام للمدينة خاصة من الناحية الاجتماعية والحضارية، حيث تحولت المدينة مع مرور الزمن إلى حاضرة كبيرة بالصحراء، وتحول قاطنوها من البداوة إلى المدنية ،فأصبحت تشكل قوة ضاربة في عمق صحراء المغرب الأوسط،بسبب اتساع دائرة مبادلاتها التجارية،حيث كانت سوقا تستوعب كل ما يجلب إليها،مما أعطاها

([110]) Revue africain n°64 op .cit .p :385

(111) السيد عبد العزيز سالم: كتاب المغرب الكبير ج2 العصر الإسلامي، دار النهضة العربية بيروت981، ص573.

القدرة تسيير شؤونها وتامين احتياجاتها،رغم الظروف التاريخية التي مرت عبر تاريخها الطويل.كما يمكننا أن نستنتج أن هذه الحركة التجارية قد عززت العلاقات التجارية والثقافية بين حواضر بلاد المغرب وحواضر بلاد السودان الغربي،حيث قصد المدينة أخيار العلماء و كبار التجار وصناع من مختلف المناطق مما أدى إلى استبحار عمرانها.وظلت وارجلان سوقا صحراويا نافقا ومحطة تجارية ذات أهمية بالغة في صحراء المغرب الأوسط على غاية القرن 9هـ/15 م.

8- قائمة المراجع:

8-1/الكتب المنشورة

أ- باللغة العربية:

01-ابن خلدون عبد الرحمن ، (2000م)**كتاب العبر**، مج7، تح سهيل زكار، دار الفكر للنشر، د ط ، بيروت، لبنان ،

20-ابن سعيد المغربي،(1970م) كتاب الجغرافيا تحقيق إسماعيل العربي، ط1 منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت.

03- الإدريسي الشريف ، (1989م) **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق** ، ط1 ، عالم الكتب ، بيروت ، مج1،.

04-العربي إسماعيل ،(1983) **الصحراء الكبرى وشواطئها**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر د ط ،.

05-اسماعيل محمود :(1406هـ-1985م) **الخوارج ببلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري**. دار الثقافة، المغرب، ص:181.

06-أعوشت بكير:(1987) **أبو يعقوب الوارجلاني و المدارس الكلامية** المطبعة العربية غرداية –الجزائر- ، د ط.

07-الباروني باشا :(1423هـ-2002م) **الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية** القسم الثاني ط3 دار البعث قسنطينة –الجزائر

08-بن عميرة محمد:(1984م) **دور زناتة في الحسبة المذهبية بالمغرب الإسلامي**، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر.

09-التيجاني أبو عبد الله:(1958) **رحلة التيجاني** ، تصحيح حسن عبد الوهاب، المطبعة الرسمية تونس.

10 -حسين أحمد الياس: **دور فقهاء الإباضية في إسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادي** ، مكتبة الضامري ، سلطنة عمان د.ت.

11-الحموي ياقوت ،(1397هـ/1977م) **معجم البلدان**، مج 5، دار صادر ،بيروت - ،.

12- الحميري بن عبد المنعم،(1984م) **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ، ط2 لبنان

13- الدرجيني أحمد بن سعيد: **طبقات المشائخ بالمغرب** ج2 تحقيق إبراهيم طلاي مطبعة قسنطينة الجزائر.

14- الدمشقي شمس الدين ،(1408هـ-1988م)، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، ط1 دار التراث العربي، بيروت، لبنان..

15- أبو زكريا يحي بن بكر،(1979) **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تحقيق اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر

16- البكري أبي عبيد الله،(2003م-1424هـ) **المسالك والممالك**، مج 2، حققه وضع فهارسه جمال طلبة ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ،لبنان ..

17- الزبيري محمد العربي:(1984) **التجارة الخارجية للشرق الجزائري** ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر

18- سالم السيد عبد العزيز:(1981م)**كتاب المغرب الكبير** ج2 العصر الإسلامي، دار النهضة العربية بيروت.

19- السائح عبد الله بن جيلاني ،(2010م)، **صفحات من تاريخ ورقلة**، منذ اقد م العصور حتى الاحتلال الفرنسي، دار هومة، الجزائر

20- الشماخي أبو العباس احمد بن سعيد (1412هـ-1992.) **كتاب السير** تحقيق أحمد بن سعود السيابي ج2 ، وزارة التراث الثقافي، ط2، سلطنة عمان.

21- عبد الرحمن الجيلالي:(1965) **تاريخ الجزائر العام**، ج1 منشورات مكتبة دار الحياة ، ط 2 بيروت.

22- العياشي، أبو سالم عبد الله (2006م)(**الرحلة العياشية 1661-1663م**) مج1، حققها وقدم لها، سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، ط 1، دار السويدي للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة .

23- لفنسكي قادو:(1988)دور الصحراء الكبرى –تاريخ إفريقيا العام ج3-الفصل11-المطبعة الكاثوليكية بيروت –لبنان.

24- مزهودي مسعود:(1417هـ- 1996م) **الإباضية في المغرب الأوسط** ، نشر جمعية التراث ، غرداية الجزائر.

25- المدني أحمد توفيق :(1382هـ/1960م)، **كتاب الجزائر** دار الكتاب البليدة ، د.ط الجزائر.

26- معمر علي يحي :(1985) **الإباضية في موكب التاريخ**. ج2 المطبعة العربية غرداية، الجزائر.

ب-باللغة الفرنسية :

01- Berthelot(A) :(1927) **l'Afrique Saharienne ,et Soudanaise** – paris.

02-Daumas. l: (1845) **le sahara algerien** etude geografique statistique et hitirique sur la region du sud des établisment francais en algérie fortin masson et cit) paris .

03-De haedo fray diego :(1881**) Histoire des rois d'Alger**. Paris

04- Duveyrier(H), (1864**)Exploration du Sahara** -LesTouareg du Nord,-Tome Premier, challamel-Ainé –Paris .

05-Feraud (CH) :(1887) **le sahara de constantine** alger .

06-l.Balout,**préhistoir de l'Afrique du nord**,Essai de chronologie,Art et métiers.

07-Largeau(V) :(1879**).le pays de rirha :Ouargla voyages à Rhadames** laibrerie hachette Paris .

08- Lethielleux Jean:(1984) **Ouargla cité saharienne** paris Paul geuthiner

09-Madleine (R.B) : (1975) **le Pays de Ouargla** – Sahara Algerien- Département de Géographie de l'Université de Paris Sorbonne-, Paris

10-Passager (P) : (1957)Ouargla(Sahara constantinois) Alger,

8-2-**الأطروحات:**

01-باجو مصطفى بن صالح: (1412هـ 1413هـ/ 1992-1993 م) **أبو يعقوب الوارجلاني وفكره الأصولي مقارنة بأبي حامد الغزالي** : بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير إشراف د. محمد السويسي جامعة قسنطينة معهد الشريعة .

02-بوعصبانة، عمر لقمان،(1992م) **معالم الحضارة الإسلامية بوارجلان، 296-626هـ/909م-1229م**، بحث لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية إشراف د. محمد ناصر – المعهد العالي لأصول الدين – وزارة الجامعات- جامعة الجزائر.

8-3-المقالات:

أ-باللغة العربية:

01- ذكار أحمد ،(2014) **مدينة ورقلة التسمية والتأسيس**، مجلة العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 17،جامعة قاصدي مرباح

02-الشيخلي صباح: (ربيع الآخر 1423هـ-يوليو –تموز 2002م) **ملاحظات حول انتشار الثقافة العربية الاسلامية في افريقية جنوب الصحراء** مجلة آفاق الثقافة والتراث السنة العاشرة العدد 38

03-غرايسة عمار ،(2011م) **من الأدوار الحضارية للمدن الصحراوية**، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15 (410-428)، جامعة غرداية

04-ج , أوماسيب، س، حاشي:(1986)**موقع عرق التوارق الماشولي بنواحي ورقلة** مجلة ليبيكا الجزء الثاني والثلاثون والرابع والثلاثون تعريب سلوى عاشور وآخرون المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ الجزائر.

ب-باللغة الفرنسية:

01-LIBYCA : (1972) **Peuplement de la Region de Ouargla** , tome xx ,centre de et de anthropologique et recherche: aperçu sur l'évolution du paysage quaternaire ethnographique , Roosevelt

02- Le Gouverneur Général d'Alger(1923) **:Notes pour servir à l'historique d'Ouargla** Revue africain n°64 Alger

الملتقيات:

01-بن يوسف تلمساني ،(فيفري 1999) **دراسة وصفية إجتماعية، لواحة ورقلة من خلال تقرير فرنسي**، ملتقى حول التوسع الفرنسي في الصحراء الجزائرية ، مقاومة الشريف بوشوشة، في إطار الذكرى السابعة والثلاثون، للإنتفاضة التاريخية بورقلة، ، مديرية الثقافة لولاية ورقلة،

02-باجو مصطفى :.(2013م) **فقه العمارة وأصول الأرضين، لأبي العباس الفرسطائي**، بحث مقدم لندوة تطور العلوم الفقهية، برعاية وزارة الأوقاف والشؤون الدينية،سلطنة عمان .